

المختصر المفيد

في بيان دلائل أقسام التوحيد

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



المختصر المفيد
في بيان دلائل أقسام التوحيد

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

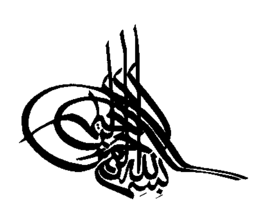
مكتبة ابن القيم
للنشر والتوزيع

الكويت - الفحيحيل - شارع ابن تيمية بجانب مستوصف الفحيحيل القديم
ت: ٠٠٩٦٥٢٣٩١٢٤٧٢ فاكس: ٠٠٩٦٥٢٣٩٢٠٠٦٠
البريد الإلكتروني: abo.asma@hotmail.com

المختصر المفيد
في بيان دلائل أقسام التوحيد

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للَّه ربّ العالمين، والعاقبة للمتَّقين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخيرة ربِّ العالمين: نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فهذه رسالة مختصرة، وورقات يسيرة في بيان بعض البراهين والدّلائل على أقسام التوحيد، وصحَّة تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبيّة، وتوحيد الألوهيّة، وتوحيد الأسماء والصفات، اختصرتها من كتابي الذي رَددت فيه على من أنكر هذا التقسيم؛ تحقيقاً لرغبة عددٍ من الأفاضل، وأسأل اللَّه أن ينفع بهذا المختصر وأصله بمنِّه وكرمه.

❋ ❋ ❋

بيان مختصر لأقسام التوحيد

القسم الأول: توحيد الربوبيّة، وهو الإقرار بأنَّ اللَّه تعالى ربُّ كلِّ شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنّه المحيي المميت النافع الضّار المتفرِّد بإجابة الدّعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كلُّه، وبيده الخير كلُّه، القادر على كلِّ شيء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر.

القسم الثاني: توحيد الأسماء والصّفات، وهو الإقرار بأنَّ اللَّه بكلِّ شيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحيُّ القيّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، له المشيئة النّافذة، والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنّه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان اللَّه عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والإيمان الجازم بها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

القسم الثالث: توحيد الإلهية، ومبناه على إخلاص التألّه للَّه تعالى، من المحبَّة والخوف والرَّجاء والتوكُّل والرَّغبة والرَّهبة

والدّعاء للَّه وحده، وإخلاص العبادات كلِّها ظاهرها وباطنها للَّه وحده لا شريك له، فلا يُجعل فيها شيءٌ لغيره، لا لِمَلَك مقرَّبٍ، ولا لنبيٍّ مُرسَل، فضلًا عن غيرهما. وهذا التوحيد هو الذي تضمَّنه قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهو أوّل الدِّين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أوّل دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول : لا إله إلَّا اللَّه؛ فإنَّ الإله هو المألوه المعبود بالمحبّة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة، وأُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار.

❊ ❊ ❊

أضداد هذه الأقسام

ولكلِّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة ضد؛ «فإذا عرفتَ أنَّ توحيد الربوبيّة هو الإقرار بأنَّ اللَّه تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر لجميع الأمور المتصرف في كلِّ مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضدّ ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرِّف مع اللَّه غيره فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه عز وجل.

وإذا عرفتَ أنَّ توحيد الأسماء والصفات هو أن يُدعى اللَّه بما سمَّى به نفسه، ويُوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ، ويُنفى عنه التشبيه والتمثيل، فضدُّ ذلك شيئان، ويَعمُّهما اسم الإلحاد:

أحدهما: نفي ذلك عن اللَّه عزَّ وجلَّ وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنَّة.

وثانيهما: تشبيه صفات اللَّه تعالى بصفات خلقه، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]،

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفت أنَّ توحيد الألوهية هو إفراد اللَّه تعالى بجميع أنواع العبادة، ونفي العبادة عن كلِّ ما سوى اللَّه تبارك وتعالى، فضدُّ ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير اللَّه عزّ وجلّ، وهذا هو الغالب على عامّة المشركين، وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها»[١].

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي (١/ ٤١٨).

توحيد الربوبية وحده لا يكفي

لقد حكى اللَّه سبحانه في كتابه عن المشركين أنَّهم مُقرُّون بتوحيد الربوبية، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، فهم كانوا يعرفون اللَّه ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره، ومع ذلك فإنَّ هذا الإقرار لا يكفيهم ولا ينجيهم، وما ذلك إلَّا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلَّا اللَّه، ولهذا قال اللَّه تعالى عنهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال ابن عباس: «من إيمانهم: إذا قيل لهم: مَن خلق السماء، ومَن خلق الأرض، ومَن خلق الجبال؟ قالوا: اللَّه. وهم مشركون».

وقال عكرمة: «تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض؟ فيقولون اللَّه. فذلك إيمانهم باللَّه، وهم يعبدون غيره».

وقال مجاهد: «إيمانهم قولهم: اللَّه خالقُنا ويرزقنا ويُميتنا، فهذا إيمانٌ مع شرك عبادتهم غيره».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «ليس أحد يَعبد مع اللَّه غيرَه إلَّا وهو مؤمن باللَّه ويعرف أنَّ اللَّه ربُّه، وأنَّ اللَّه خالقه ورازقه وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]، قد عرف أنَّهم يعبدون ربّ العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك به إلَّا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول: لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلَّا شريك هو لك، تملكه وما ملك. المشركون كانوا يقولون هذا»(١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أي: لا تشركوا باللَّه غيرَه من

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١٣/ ٧٧-٧٩).

الأنداد التي لا تنفع ولا تضرّ وأنتم تعلمون أنَّه لا ربَّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه».

وقال قتادة: «أي تعلمون أنَّ اللَّه خلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون له أنداداً»(١).

وقد أورد ابن القيّم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، أنَّه قال: «يريد: عَدلُوا بي من خَلْقي الحجارة والأصنام بعد أن أقروا بنعمتي وربوبيتي»(٢).

ومن الشّواهد على اعتراف المشركين بربوبية اللَّه من كلامهم: قول زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة:

فلا تكتمنَّ اللَّه ما في نفوسكم ... ليخفى فمهما يُكتم اللَّه يعلم

يُؤخر فيوضَع في كتاب فيُدَّخر ... ليوم حساب أو يعجّل فينقم

قال ابن كثير - وقد أورد هذين البيتين -: «فقد اعترف هذا الشّاعر الجاهليّ بوجود الصّانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد

(١) انظر: «جامع البيان» (١/ ١٦٤).

(٢) «إغاثة اللهفان» لابن القيّم (٢/ ٢٢٦).

وبالجزاء وبكتابة الأعمال في الصُّحف ليوم القيامة»[١].

وقال ابن جرير: «وقد أنشد لبعض الجاهليّة الجهلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يَمينها

وقال سلامة بن جندل الطُّهَوي:

عجلتم علينا عجيلتنا عليكم وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق»[٢]

والشّواهد على هذا كثيرة، ومع ذلك فهم مشركون؛ لأنَّهم يعبدون مع اللَّه غيره.

❊ ❊ ❊

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٣٨).

(٢) «جامع البيان» (١/ ٥٨).

ذكر بعض دلائل هذه الأقسام

ولهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد دلائل كثيرة وبراهين عديدة في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ لا تحصر، يعرفها من لديه أدنى إلمام بنصوص الكتاب والسنة، بل إنَّ من يحفظ فاتحة الكتاب[(١)] وسورة الناس يجد فيهما ما يشفي ويكفي من وضوح دلالةٍ ونصوع برهانٍ على هذا التقسيم، بل هو أكبر الحقائق الشرعيّة المقررة في الكتاب والسنة.

١- فمن أدلة توحيد الربوبيّة: قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٢٤) وما بعدها قوله: فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة.

كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وغيرها من الآيات.

٢- ومن أدلة توحيد الألوهيّة: قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ لأنَّ اللَّه معناه المألوه المعبود. وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٢-٣]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى (١٤) فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١٤-١٥]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وغيرها من الآيات.

٣- ومن أدلة توحيد الأسماء والصّفات: قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وآخر سورة الحشر، وغيرها من الآيات.

* * *

من الآيات الجامعة لأقسام التوحيد الثلاثة

ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة:

١- قول اللَّه تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فإنّ هذه الآية الكريمة المباركة متكونة من عشر جُمل، فيها من توحيد اللَّه وتمجيده وتعظيمه وبيان تفرّده بالكمال والجلال، ما يحقّق لمن قرأها الحفظ والكفاية، وفيها من أسماء اللَّه الحسنى خمسة أسماء، وفيها من صفات اللَّه ما يزيد على العشرين صفة، وقد بُدئت بذكر تفرّد اللَّه بالألوهيَّة وبطلان ألوهيّة كلّ من سواه، ثم ذكر حياة اللَّه الكاملة التي لا يلحقها فناء، وذكر قيُّوميَّته سبحانه، أي قيامه بنفسه وقيامه بتدبير أمور خلقه، وذكر تنزّهه سبحانه عن صفات النَّقص كالسِّنة والنَّوم،

وبيان سعة ملكه سبحانه، وإنَّ جميع مَنْ في السماوات والأرض عبيد له داخلون تحت قهره وسلطانه، وذكر أنّه من أدلة عظمته أنّه لا يمكن لأحد من الخلق أن يشفع عنده سبحانه إلا من بعد إذنه، وفيها إثبات صفة العلم للّه سبحانه، وأنّ علمه سبحانه محيط بكلِّ معلوم، فهو يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وفيها بيان عظمة اللّه سبحانه بذكر عظمة مخلوقاته، فإذا كان الكرسيُّ وهو مخلوق من مخلوقاته وسع السماوات والأرض، فكيف الخالق الجليل والرَّب العظيم، وفيها بيان كمال اقتداره سبحانه، وأنه سبحانه من كمال قدرته لا يؤوده أي لا يُثقله حفظ السماوات والأرض، ثم ختمت الآية بذكر اسمين عظيمين للّه، وهما: العليُّ العظيم، وفيهما إثبات علوِّ اللّه سبحانه ذاتاً وقدْراً وقهْراً، وإثبات عظمته سبحانه بالإيمان، بأنّ له جميع معاني العظمة والجلال، وأنه لا يستحقّ أحدٌ التعظيم والتكبير والإجلال سواه.

هذا مجمل محتوياتها، فهي آية عظيمة فيها من المعاني الجليلة والدلالات العميقة والمعارف الإيمانيّة ما يدلُّ على

عظمها وجلالة شأنها[١].

٢ - قول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

٣ - قول اللَّه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

٤ - قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

٥ - قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

٦- قول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٥-٦٦].

(١) انظر: كتابي «آية الكرسي وبراهين التوحيد» (ص/ ١٤، ١٥).

٧ - قول اللَّه تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

٨ - قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٠-١١].

٩ - قول اللَّه تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

١٠- قول اللَّه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

١١ - قول اللَّه تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا دلالة

الآية على ذلك: «اشتملت (أي: الآية) على أصول عظيمة: على توحيد الربوبية وأنَّه تعالى ربُّ كلِّ شيء وخالقه ورازقه ومدبره، وعلى توحيد الألوهية والعبادة وأنَّه تعالى الإله المعبود، وعلى أنَّ ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده، ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ الدّالة على السّبب أي: فكما أنَّه ربُّ كلِّ شيء فليكن هو المعبود حقاً فاعبده، ومنه: الاصطبار لعبادته تعالى وهو جهاد النفس وتمرينها وحملها على عبادة اللَّه تعالى، فيدخل في هذا أعلى أنواع الصبر وهو الصبر على الواجبات والمستحبات والصبر عن المحرمات والمكروهات، بل يدخل في ذلك الصبر على البليَّات؛ فإنَّ الصبر عليها وعدم تسخطها والرضى عن اللَّه بها من أعظم العبادات الداخلة في قوله: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، واشتملت على أنَّ اللَّه تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت، جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي، بل قد تفرَّد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات»(١).

* * *

(١) «المواهب الربانية من الآيات القرآنية» (ص/ ٤٤، ٤٥).

من الأذكار والدّعوات الجامعة لأقسام التوحيد

إنّ الأذكار المشروعة والدّعوات المأثورة عن النبيّ ﷺ باب عظيم مبارك لترسيخ التوحيد وتجديد عهد الإيمان وتثبيت العقيدة وتقوية الصّلة باللّه - عزّ وجلّ -، وفيها اعتراف بنعمه المتوالية وآلائه المتتالية، وشكرٌ له على تفضّله وإنعامه وجوده وإحسانه، وفيها لجوءٌ إليه وحده، واعتماده عليه دون ما سواه بالتّعوّذ به سبحانه من نزغات الشيطان وشرور النفس، وشرِّ كلِّ ذي شرٍّ من الخلق، ومن شرِّ كلِّ نقمةٍ أو بلاء أو مصيبة.

وفيها تقرير لتوحيد اللّه - عزّ وجلّ - وبراءةٌ وخلوص من الإشراك به، وإقرارٌ وإذعان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن كان ذا عناية واهتمام بأدعية النبيّ ﷺ المأثورة عنه فإنه يبوء ويعترف مرّات كثيرة بأنّ اللّه عزّ وجلّ وحده هو الذي أمات وأحيا، وأطعم وأسقى، وأفقر وأغنى، وألبس وأكسى، وأضلّ وهدى، وأنّ له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وأنه وحده المستحق لأن يؤلَه ويُعبد، ويُخضع له ويُذلّ، وتصرف له جميع أنواع العبادة.

فالذِّكر كما يقول العلّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السّالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلَّا من شجرة الذِّكر، وكلّما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها، فالذِّكر يُثمر المقامات كلّها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كلِّ مقام، وقاعدته التي يُبنى ذلك المقام عليها، كما يُبنى الحائط على أُسِّه، وكما يقوم السقف على حائطه»(١).

وفيما يلي ذكر لبعض الأدعية والأذكار الجامعة لأقسام التوحيد الثلاثة:

١ - عن شدّاد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**سيِّد الاستغفار أن يقول: اللَّهمَّ أنت ربِّي لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من**

(١) «الوابل الصيّب» (ص/ ١٣٢).

أهل الجنة»، رواه البخاري[(١)].

٢ - عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: كان نبيُّ اللَّه ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملك للَّه، والحمد للَّه، لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شرِّ ما في هذه الليلة وشرِّ ما بعدها، ربِّ أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، ربِّ أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر**»، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «**أصبحنا وأصبح الملك للَّه**»، رواه مسلم[(٢)].

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ أبا بكر الصّديق رضي الله عنه قال: يا رسول اللَّه، مُرْني بكلمات أقولهنّ إذا أصبحت وإذا أمسيتُ. قال: «**قل: اللَّهمّ فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربّ كلّ شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي، وشرِّ الشيطان وشِرْكه**».

وفي رواية أخرى: «**وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجُرَّه إلى مسلم**». قال: «**قلها إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ**

(١) «صحيح البخاري» (٦٣٠٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٧٢٣).

مضجعك»، رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما[(١)].

٤- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضّأ وضوءك للصّلاة، ثم اضطجع على شقّك الأيمن، ثم قل: اللَّهمّ إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجّهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت. فإنْ مُتّ من ليلتِك مُتَّ وأنت على الفطرة، واجعلهنّ من آخر كلامك**». قال: فردَدْتُهُنّ لأستذكرهنّ فقلتُ: آمنتُ برسولك الذي أرسلت. قال: «**لا، ونبيّك الذي أرسلت**». رواه البخاري ومسلم[(٢)].

٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: «**اللَّهمَّ ربّ السّماوات، وربّ الأرض، وربّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلّ شيء، فالق الحبِّ والنّوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كلِّ دابة أنت آخذٌ بناصيتها، اللَّهمّ أنت الأوّل فليس قبلك**

(١) «جامع الترمذي» (٣٣٩٢، ٣٥٢٩)، و«سنن أبي داود» (٥٠٦٧، ٥٠٨٣). وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» (٢٧٠١).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٣١١)، و«صحيح مسلم» (٢٧١٠).

شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنّا الدَّيْن وأغننا من الفقر»، رواه مسلم[١].

٦- عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدّعاء: «**اللّهمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني، اللّهمّ اغفر لي جِدّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي. اللَّهمّ اغفر لي ما قدَّمت وما أخّرت، وما أسررتُ وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، وأنت على كلِّ شيء قدير**»، رواه البخاري ومسلم[٢].

٧ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول اللّه ﷺ كان يقول: «**اللّهمّ لك أسلمتُ وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ. اللَّهمّ إنّي أعوذ بعزّتك، لا إله إلَّا أنت أن تضلَّني، أنت الحيُّ الذي لا يموت والجنّ والإنس يموتون**»، رواه مسلم[٣].

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧١٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٣٩٨)، و«صحيح مسلم» (٢٧١٩).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٧١٧)، ورواه البخاري (٧٣٨٣) مختصراً.

القرآن كلُّه مقرِّرٌ لهذا التوحيد

وفي بيان دلالة القرآن على أنواع التوحيد يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر أنَّ كلَّ طائفة تُسمِّي باطلها توحيداً: «وأمَّا التوحيد الذي دعت إليه رسل اللَّه ونزلت به كتبه فوراء ذلك كلِّه، وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلوه فوق سمواته على عرشه، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه. وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدَّ الإفصاح، كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة تنزيل السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول

سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام. وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمّنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولاً كلّيا: إنَّ كلَّ آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه؛ فإنَّ القرآن إمَّا خبر عن اللَّه وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كلِّ ما يُعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطَّلَبي، وإمَّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبر عن كرامة اللَّه لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النَّكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كلُّه في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: توحيد، ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: توحيد، ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: توحيد، ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: توحيد، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: توحيد، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، الذين أنعم اللَّه

عليهم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد . . .»[(١)].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدّمة كتابه القيِّم «**إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات**»[(٢)]: «واعلم أنَّ إيراد الآيات القرآنيّة على إثبات كلِّ مقصد من هذه المقاصد، وإثبات اتفاق الشرائع عليها، لا يحتاج إليه من يقرأ القرآن العظيم؛ فإنَّه إذا أخذ المصحف الكريم وقف على ذلك في أيِّ موضع شاء، ومن أيِّ مكان أحبَّ، وفي أيِّ محل منه أراد، ووجده مشحوناً به من فاتحته إلى خاتمته».

❋ ❋ ❋

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٢) (ص/ ٤).

تقسيم التّوحيد حقيقة شرعيّة معلومة بالاستقراء

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ توحيد اللَّه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جُبلت عليه فِطَرُ العقلاء، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]. وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] تجاهلٌ من عارفٍ أنَّه عبدٌ مربوبٌ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] الآية، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤]، وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلَّا بإخلاص العبادة للَّه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. والآيات الدّالة على ذلك كثيرة جدًّا.

الثاني: توحيده جلّ وعلا في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى: «لا إله إلّا اللَّه»، وهي متركبةٌ من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير اللَّه كائنة ما كانت، في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت.

ومعنى الإثبات منها: إفراد اللَّه جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام. وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد: قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] الآية، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] الآية، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إنَّ ما أوحي إليه

محصور في هذا النوع من التوحيد؛ لشمول كلمة «لا إله إلَّا اللَّه» لجميع ما جاء في الكتب؛ لأنَّها تقتضي طاعة اللَّه بعبادته وحده، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب. والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

النوع الثالث: توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته، وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين:

الأول: تنزيه اللَّه جلَّ وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

والثاني: الإيمان بما وصف اللَّه به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله؛ كما قال بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ مع قطع الطمع عن إدراك كيفيَّة الاتصاف، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقد قدَّمنا هذا المبحث مستوفى موضحاً بالآيات القرآنية في سورة الأعراف.

ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جلّ وعلا على وجوب توحيده في عبادته؛ ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقرُّوا بربوبيته

احتجَّ بها عليهم على أنَّه هو المستحقُّ لأن يُعبد وحده، ووبَّخهم منكراً عليهم شركهم به غيره مع اعترافهم بأنَّه هو الربُّ وحده؛ لأنَّ مَن اعترف بأنَّه الربُّ وحده لزمه الاعتراف بأنَّه هو المستحقّ لأن يُعبد وحده.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فلمَّا أقروا بربوبيته وبَّخهم منكِرًا عليهم شركهم به غيره بقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلمَّا اعترفوا وبَّخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلمَّا أقروا وبَّخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨- ٨٩]، فلمَّا أقروا وبَّخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾، فلمَّا صح الاعتراف وبَّخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، فلمَّا صحَّ اعترافهم وبَّخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، فلمَّا صح إقرارهم وبَّخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، فلمَّا صحّ اعترافهم وبَّخهم اللَّه منكراً عليهم بقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، ولا شكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب لهم البتة غيره: هو أنَّ القادر على خلق السموات والأرض وما ذكر معها خيرٌ من جمادٍ

لا يقدر على شيء . فلمَّا تعين اعترافهم وبَّخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾، ولا شكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب غيره كما قبله. فلمَّا تعين اعترافهم وبَّخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، ثم قال جلَّ وعلا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ﴾، ولا شك أنَّ الجواب كما قبله. فلمَّا تعين إقرارهم بذلك وبَّخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾، ولا شك أنَّ الجواب كما قبله. فلمَّا تعين إقرارهم بذلك وبَّخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثم قال جل وعلا: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾، ولا شكَّ أنَّ الجواب كما قبله. فلمَّا تعين الاعتراف وبَّخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٤].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾، ولا شك أنَّ الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو: لا، أي ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء. فلمَّا تعين اعترافهم وبَّخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

والآيات بنحو هذا كثيرة جداً، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع: أنَّ كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنَّهم إذا أقروا رتَّب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأنَّ المقرَّ بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وإن زعم بعض العلماء أنَّ هذا استفهام إنكار؛ لأنَّ استقراء القرآن دلَّ على أنَّ الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار؛ لأنَّهم لا ينكرون الربوبية كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه.

والكلام على أقسام التوحيد ستجده إن شاء اللَّه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب المبارك بحسب المناسبات في الآيات التي نتكلَّم على بيانها بآيات أخر»(١) اهـ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٤١٠-٤١٤)

وقد نقلتُ كلامه بطوله لأهميته، وقد نبَّه فيه رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنَّ أقسام التوحيد الثلاثة مأخوذة بالاستقراء لنصوص القرآن الكريم، وبهذا يُعلم أنَّ هذا التقسيم من الحقائق الشرعيّة المستمدة من كتاب اللَّه تعالى، وليس أمراً اصطلاحيّاً أنشأه بعض العلماء.

قال الشيخ العلَّامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السّلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرَّره شيخا الإسلام ابن تيميَّة وابن القيِّم، وقرَّره الزبيدي في «تاج العروس»، وشيخنا الشنقيطي في «أضواء البيان» في آخرين رحم اللَّه الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كلِّ فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»[١].

وما يؤمن بالتوحيد من لم يؤمن بهذه الأقسام الثلاثة المستمدة من نصوص الشرع؛ إذ التوحيد المطلوب شرعًا هو الإيمان بوحدانية اللَّه في ربوبيته وألوهيَّتيه وأسمائه وصفاته، ومن لم يأت بهذا جميعه فليس موحِّدًا.

---

(١) «التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص/ ٣٠).

دلالة كلمة التوحيد على هذا التقسيم

بل إنَّ كلمة التوحيد «لا إله إلَّا اللَّه» التي هي أصل الدِّين وأساسه قد دلَّت على أقسام التوحيد الثلاثة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشهادة أن لا إله إلَّا اللَّه فيها الإلهيات، وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أُنزل إليهم، وهي الأصول الكبار التي دلَّت عليها وشهدت بها العقول والفطر».

وأمَّا وجه دلالة هذه الكلمة العظيمة على أقسام التوحيد الثلاثة فظاهر تماماً لمن تأمَّلها، فقد دلَّت على إثبات العبادة للَّه ونفيها عمن سواه، كما دلَّت أيضاً على توحيد الربوبية؛ فإنَّ العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، ودلَّت على توحيد الأسماء والصفات؛ فإنَّ مسلوب الأسماء والصفات ليس بشيء بل هو عدم محض، كما قال بعض العلماء: المشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، والموحد يعبد إله الأرض والسماء[1].

---

(١) انظر: «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» للشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد (ص/ ٩) وقد نقلتُ نصَّ شيخ الإسلام عنه.

روى مسلم في «صحيحه»[١] عن عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان يقول في دبر كلِّ صلاة حين يُسلِّم: «**لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير، لا حول ولا قوّة إلَّا باللَّه، لا إله إلَّا اللَّه، ولا نعبد إلَّا إيّاه، له النّعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلَّا اللَّه مخلصين له الدِّين ولو كره الكافرون**»، وقال: كان رسول اللَّه ﷺ يهلّل بهنَّ دبر كلِّ صلاة.

وقد جمع هذا التهليل المبارك أنواع التّوحيد الثلاثة:

أمّا توحيد العبادة فقد تكرّرت فيه كلمة التوحيد لا إله إلَّا اللَّه - ثلاث مرات -، وأُتبعت في كلِّ مرّة بما يقرِّر معناها، ويؤكّد حقيقتها، ويوضِّح مدلولها.

فقوله بعد التهليلة الأولى: «**وحده لا شريك له**» تأكيدٌ لما قرّرته من النفي والإثبات؛ فقوله: «**وحده**» تأكيدٌ للإثبات، وقوله: «لا شريك له» تأكيد للنّفي.

وقوله بعد التهليلة الثانية: «**ولا نعبد إلَّا إيّاه**» فيه بيان لمعناها وتفسير لمدلولها، وأنها تعني نفي العبادة بجميع أنواعها وأفرادها عن كلِّ من سوى اللَّه وإثباتها للَّه وحده لا شريك له.

---

(١) (٥٩٤).

وقوله بعد التهليلة الثالثة: «**مخلصين له الدِّين**» تقريرٌ لمدلولها كذلك، وأنّها كلمة الإخلاص، فلا يستفيد منها قائلها إلّا إذا أخلص دينه للَّه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

وكلٌّ ذلك تقريرٌ لتوحيد العبادة، ويمكن أيضاً أن يُلخَّص منه تعريفٌ جامعٌ لتوحيد العبادة، فيقال هو: **أن لا نعبد إلَّا اللَّه وحده لا شريك له مخلصين له الدِّين.**

وأمّا توحيد الربوبية ففي قوله: «**له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير**»، وفي قوله: «**له النّعمة وله الفضل**»؛ إذ إنّ تفرده سبحانه بالملك والقدرة على كلّ شيء والنعمةِ والفضل كلّه من معاني ربوبيّته سبحانه، ومما يحمد عليه عزّ وجلّ أنه ربُّ العالمين لا ربَّ لهم سواه ولا مالك إلا هو، والنّعمة بيده والفضل فضله يؤتيه من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم.

وأمّا توحيد الأسماء والصفات ففي قوله: «**وله الحمد**»؛ لأنه سبحانه يُحمد كذلك على أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

وأيضاً في قوله: «**وله الثناء الحسن**» حيث إنّه سبحانه يُثنَى عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا كما قال أعلم خلقه به نبيُّنا

محمدٌ ﷺ: «**اللَّهم إنّي أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»، رواه مسلم[١]. وكذلك قوله ﷺ في حديث الشّفاعة: «**ثم يفتح اللَّه عليَّ من محامده وحسن الثّناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي**» رواه البخاري ومسلم[٢]. قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته»[٣].

وقد ذُكر كلٌّ من توحيد الربوبيّة وتوحيد الأسماء والصفات في هذا التهليل المبارك للاستدلال بهما على توحيد العبادة، وبيانِ أنّ المتفرّد بالملك والحمد والقدرة على كلّ شيء والنعمة والفضل، والمتفردَ بالثناء الحسن لعظمة أسمائه وكمال صفاته هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنه المعبود بحقّ ولا معبود بحقٍّ سواه، وأنّ عبادة من سواه ضلال وباطل وكفرٌ وطغيان.

---

(١) «صحيح مسلم» (٤٨٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٧١٢)، و«صحيح مسلم» (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٦).

وبهذا يعلم أن هذه الكلمات ليست ألفاظاً مجرّدة لا تدل على معنى، بل لها معانٍ عظيمة، ودلالات عميقة تنتظم التوحيد بأنواعه الثلاثة، والواجب على كلٍّ من يردِّد هذه الكلمات أن يستحضر ما دلَّت عليه، وأن يعرف ما تضمنته بحيث يكون مستمسكاً بالتوحيد محافظاً عليه مراعياً لحقوقه مجانبًا تمامَ المجانبة لنواقضه وما يضادّه، صادعًا به لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، ولو كره الكافرون.

❊ ❊ ❊

دلالة «لا حول ولا قوّة إلّا باللَّه» على تقسيم التّوحيد

وهي كلمة عظيمة لها من الفضائل والفوائد والثّمار ما لا يحصيه إلا اللَّه، وفيها من المعاني العميقة والدّلالات المفيدة ما يثبِّت الإيمان ويرسِّخ التوحيد ويقوِّي اليقين ويزيد الصّلة بربّ العالمين، ومن ذلكم اشتمالها على تقسيم التوحيد؛ فإن من جملة دلالات هذه الكلمة العظيمة:

١- تضمّنها الإقرار بربوبية اللَّه وأنه وحده الخالق لهذا العالم، المدبِّر لشؤونه، المتصرِّف فيه بحكمته ومشيئته، لا يقع شيءٌ في هذا العالم من حركة أو سكون، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، أو عطاء أو منع إلَّا بإذنه، يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يُغالب، بل قد قهر كلَّ شيء، ودان له كلُّ شيء، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، فالقائل لتلك الكلمة مقرٌّ بهذا، مذعن به، معترف أنّ أموره كلها بيد

ربِّه ومليكه وخالقه لا قدرة له على شيء ولا حول ولا قوّة إلَّا بإذن ربِّه ومولاه، وبتوفيق سيّده ومليكه، ولهذا إليه يلجأ، وبه يستعين، وعليه يعتمد في كلِّ أحواله وفي جميع شؤونه.

٢- تضمّنها الإقرار بأسماء اللَّه وصفاته، إذ القائل لهذه الكلمة - ولا بدّ - مقرٌّ بأنّ المدعو المقصود الملتجأ إليه بهذه الكلمة، غني بذاته، وكلُّ ما سواه فقير إليه، قائم بذاته، وكلّ ما سواه لا يقوم إلّا به، قدير لذاته، وكلّ ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره، متصف بجميع صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، وكل ما سواه ملازمه النّقص، وليس الكمال المطلق إلا له سبحانه وتعالى، فلعظمة أسمائه وكمال نعوته وصفاته استحقّ أن يقصد وحده، وأن لا يلجأ إلَّا إليه.

٣ - تضمّنها الإقرار بألوهيَّة اللَّه، وأنه وحده المعبود بحقٍّ ولا معبود بحقٍّ سواه، وذلك في قوله: «**إلَّا باللَّه**».

واللَّه معناه كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ذو الألوهية والعبوديَّة على خلقه أجمعين»[1]. وقد جمع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا التفسير بين ذكر الألوهية وهي الوصف المتعلّق باللَّه من هذا الاسم، فهو

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٥٤).

سبحانه المألوه المعبود المرجو المطاع الذي لا يستحقّ العبادة أحدٌ سواه، وبين وصف العبد وهو العبوديَّة، إذ إنّ عباد اللَّه هم الذين يعبدونه ويألهونه ويقومون بطاعته وحده لا شريك له[١].

* * *

(١) انظر كتابي «الحوقلة، مفهومها، وفضائلها، ودلالاتها العقدية».

ذكر بعض أقوال السّلف في تقرير هذه الأقسام

كُتبُ السلف الصّالح مليئة بالتصريح تارة والإشارة تارة إلى هذه الأقسام، ولو ذهبتُ أنقل كلَّ ما أعلمه من أقوالهم في ذلك لطال المقام، لكن حسبي أن أورد هنا بعضَ النّقول عن سلف هذه الأمَّة، ونزراً يسيراً من كلام أهل العلم المشتملة على ذكر أقسام التوحيد الثلاثة مقتصراً هنا على مَن كان قبل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم تكذيبًا لدعوى من ادّعى أنّ هذا التّقسيم لم يعرف إلَّا في زمنه.

١- قال الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠هـ في كتابه «الفقه الأبسط»[١]: «واللَّه يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأنَّ الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء».

فقوله: «يُدعى من أعلى لا من أسفل . . .» فيه إثبات العُلوّ

(١) «الفقه الأبسط» (ص/ ٥١).

للَّه، وهو من توحيد الأسماء والصفات، وفيه رد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من نفاة العلوّ.

وقوله: «من وصف الربوبيَّة» فيه إثبات توحيد الربوبيّة.

وقوله: «والألوهية»: فيه إثبات توحيد الألوهية.

٢ - قال ابن منده في كتابه «التوحيد»: أخبرنا محمد بن أبي جعفر السرخسي، ثنا محمد بن سلمة البلخيّ، ثنا بشر بن الوليد القاضي، عن أبي يوسف القاضي (يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة ١٨٢هـ) أنَّه قال: «ليس التوحيد بالقياس، ألم تسمع إلى قول اللَّه عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه أنَّه عالم قادر قوي مالك ولم يقل: إنِّي قادر عالم، لعلة كذا أقدر، بسبب كذا أعلم، وبهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، وقد قال اللَّه تعالى في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] الآية، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية.

قال أبو يوسف: لم يقل اللَّه: انظر كيف أنا العالم وكيف أنا القادر وكيف أنا الخالق، ولكن قال: انظر كيف خلقت. ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [النحل: ٧٠]، وقال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] أي: تعلَّمْ أنَّ هذه الأشياء لها ربٌّ يقلِّبها ويبديها ويعيدها، وأنَّك مُكوَّنٌ ولك مَنْ كونك. وإنَّما دلَّ اللَّه عز وجل خلقه بخلقه ليعرفوا أنَّ لهم ربّاً يعبدوه ويطيعوه ويوحِّدوه، ليعلموا أنَّه مُكوِّنهم، لا هم كانوا. ثم تسمَّى فقال: أنا الرحمن وأنا الرحيم وأنا الخالق وأنا القادر وأنا المالك، أي هذا الذي كونَّكم يُسمَّى المالك القادر اللَّه الرحمن الرحيم بها يوصف.

ثم قال أبو يوسف: يُعرف اللَّه بآياته وبخلقه، ويُوصف بصفاته، ويُسمَّى بأسمائه كما وصف في كتابه، وبما أدَّى إلى الخلق رسولُه.

ثم قال أبو يوسف: إنَّ اللَّه عزّ وجل خلقك وجعل فيك آلات وجوارح عجز بعض جوارحك عن بعض، وهو ينقلك من حال إلى حال، لتعرف أنَّ لك ربّاً، وجعل فيك نفسك عليك حجة بمعرفته تتعرّف بخلقه، ثم وصف نفسه فقال: أنا الربّ وأنا الرحمن وأنا اللَّه وأنا القادر وأنا المالك، فهو يوصف

بصفاته ويُسمَّى بأسمائه، قال اللَّه تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، فقد أمرنا اللَّه أن نوحِّده، وليس التّوحيد بالقياس؛ لأنَّ القياس يكون في شيء له شبه ومثل، فاللَّه تعالى وتقدّس لا شبه له ولا مثل له تبارك اللَّه أحسن الخالقين.

ثم قال: وكيف يُدرَك التوحيد بالقياس وهو خالق الخلق بخلاف الخلق، ليس كمثله شيء تبارك وتعالى. وقد أمرك اللَّه عز وجل أن تؤمن بكلّ ما أتى به نبيّه ﷺ فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فقد أمرك اللَّه عز وجل بأن تكون تابعاً سامعاً مطيعاً، ولو يوسَّع على الأمة التماس التوحيد وابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهواه إذاً لضلوا، ألم تسمع إلى قول اللَّه عز وجل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن

﴿فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فافهم ما فسّر به ذلك»[١].

ورواه أيضاً الإمام الحافظ قوام السنة أبو القاسم إسماعيل التيميّ الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ في كتابه «الحجّة في بيان المحجَّة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنَّة»، ولأهميته عنده خصَّه بفصل مستقل فقال: «فصل في النهي عن طلب كيفية صفات اللَّه عز وجل»، وذكره بإسناده من طريق السرخسي به[٢].

وأثر أبي يوسف هذا الذي رواه هذان الإمامان عظيم القدر، مشتمل على أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

قال شيخنا الدّكتور علي فقيهي في التعليق على هذا الأثر: «... وقد ذكر أبو يوسف كلاماً نفيساً في باب التوحيد، هو ظاهر في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات. فذكر أنَّ التوحيد لا يكون بالقياس، مبيناً أنَّ القياس لا يكون إلا إذا وُجدت علة، حيث قال: ألم تسمع إلى قول

---

(١) «التوحيد» لابن منده (٣/ ٣٠٤-٣٠٦).

(٢) انظر: «الحجة» للتيمي (١/ ١١١-١١٣).

اللَّه عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه أنَّه عالم قادر قوي ولم يقل إنِّي قادر عالم لعلة كذا، أو أقدر بسبب كذا، قال: ولذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يُعرف اللَّه إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، ثم ذكر أدلة ذلك، ثم قال: لم يقل اللَّه انظر كيف أنا العالم وكيف أنا القادر، وإنَّما قال: انظر كيف خلقت... الخ. إنَّ ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ لا يحتاج لبيان، فراجعه تجد فيه الردَّ على الملحدين في الربوبية وفي الأسماء والصفات مستدلًا بذلك على توحيد العبادة والطاعة للَّه وحده»(١).

٣- قال ابن جرير الطبريّ المتوفى سنة ٣١٠ هـ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]: «فاعلم يا محمّد أنَّه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته إلَّا اللَّه الذي هو خالق الخلق، ومالك كلِّ شيء، يدين له بالربوبية كلُّ ما دونه»(٢).

٤- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفيّ المتوفى سنة ٣٢١هـ في مقدمة متنه في العقيدة المشهور بالطّحاوية: «نقول في توحيد

(١) انظر: هامش «كتاب التوحيد» لابن منده (٣/ ٣١٠).
(٢) «جامع البيان» (٢٦/ ٥٣-٥٤).

اللَّه معتقدين بتوفيق اللَّه: إنَّ اللَّه واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره . . . ».

فقوله: «إنَّ اللَّه واحد لا شريك له» شاملٌ لأقسام التوحيد الثلاثة، فهو سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته.

وقوله: «ولا شيء مثله» هذا من توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: «ولا شيء يعجزه» هذا من توحيد الربوبية.

وقوله: «ولا إله غيره» هذا توحيد الألوهية.

فهذه أقسام التوحيد الثلاثة صريحة واضحة في نصِّ هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد ذكر في مقدمة متنه المذكور أنَّه مشتمل على: «بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد اللَّه محمد بن الحسن الشيباني، رضوان اللَّه عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصل الدِّين، ويدينون به ربَّ العالمين».

٥- قال أبو محمد عبد اللَّه بن محمد النيسابوريّ الحيري المعروف بالمرتعش المتوفى سنة ٣٢٨هـ صاحب الجُنيد: «**أصول التّوحيد ثلاثة**: معرفة اللَّه بالرّبوبية، والإقرار له

بالوحدانيّة، ونفي الأنداد عنه جملة»[١].

٦- قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ في مقدمة كتابه «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»: «الحمد للَّه المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلقَ البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته . . .».

فذكر الأقسام الثلاثة: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

٧ - قال ابن أبي زيد القيرواني المالكي المتوفى سنة ٣٨٦هـ في أوَّل عقيدته من مقدِّمة «الرسالة»: «من ذلك: الإيمان بالقلب والنطق باللسان بأنَّ اللَّه إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير، ولا ولد له ولا والد، ولا صاحبةَ له ولا شريك له، ليس لأوليَّته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، لا يبلغ كنه صفته

---

(١) أورده أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٥٦).

الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكّرون . . . إلى أن قال: . . . تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنىً، خالقاً لكل شيء، ألا هو ربّ العباد وربّ أعمالهم والمقدّر لحركاتهم وآجالهم . . .».

٨- قال الإمام أبو عبد اللَّه عبيد اللَّه بن محمد بن بطَّة العكبري الحنبليّ، المتوفى سنة ٣٨٧هـ في كتابه «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»: «. . . وذلك أنَّ أصل الإيمان باللَّه الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته؛ ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مباينًا بذلك لمذهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أنَّ كثيرًا ممن يقرُّ به ويوحِّده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده.

ولأنَّا نجد اللَّه تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها.

فأمَّا دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأنَّ الجهميَّ يدَّعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه لهما...»[١]. ثم أخذ يورد ما يدلّ على بطلان قول الجهميَّة في نفي الصفات.

وهذا نصٌّ في غاية الوضوح في ذكر أقسام التوحيد الثلاثة.

وتأمَّل - يا رعاك اللَّه - قول ابن بَطَّة: «ولأنَّا نجد اللَّه تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها»؛ ففيه أبلغ ردٍّ على من يزعم أنَّ هذا التقسيم لم يرد في كتاب اللَّه ولا في سنَّة رسوله ﷺ.

وتأمَّل قوله في بداية كلامه: «وذلك أنَّ أصل الإيمان باللَّه الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء...»؛ فقد نصَّ رَحِمَهُ اللَّهُ على أنَّ أقسام التوحيد الثلاثة هي أصل الإيمان الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان

(١) «الإبانة» لابن بطة (٦٩٣-٦٩٤) من النسخة الخطية، وفي مختصره (ق١٥٠).

باللَّه، ومعنى ذلك أنَّه لا إيمان لمن لم يأت بهذه الأمور الثلاثة ولا توحيد؛ إذ الإيمان والتوحيد هو إفراد اللَّه وحده بهذه الأمور الثلاثة، فمن لم يأت بتوحيد الربوبيّة فهو معطِّل للخالق مشرك في ربوبية اللَّه، ومن لم يأت بتوحيد الألوهية فهو مشرك في ألوهيّة اللَّه وعبادته كالمشركين عبدة الأصنام، ومن لم يأت بتوحيد الأسماء والصفات فهو كافر ملحد في أسماء اللَّه وصفاته.

٩- ذكر الإمام الحافظ أبو عبد اللَّه محمد بن إسحاق ابن يحيى بن منده المتوفى سنة ٣٩٥هـ. في كتابه «كتاب التوحيد ومعرفة أسماء اللَّه عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد» أقسام التوحيد، واستعرض كثيراً من أدلتها في الكتاب والسنة بشرحٍ وبسطٍ لا مزيد عليه.

فمن الأبواب التي عقدها وهي متعلّقة بتوحيد الربوبية ما يلي:

١- ذِكرُ ما وصف اللَّه عز وجل به نفسه ودلَّ على وحدانيته عز وجل وأنَّه أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

٢- ذِكرُ معرفة بدء الخلق.

٣- ذِكر ما يدل على أنَّ خلق العرش تقدَّم على خلق الأشياء.

٤- ذِكرُ ما يدل على أنَّ اللَّه قدَّر مقادير كلِّ شيء قبل خلقِ الخلْقِ.

٥- ذِكرُ ما يَستدل به أولو الألباب من الآيات الواضحة التي جعلها اللَّه عز وجل دليلًا لعباده من خلقه على معرفته ووحدانيته من انتظام صنعته وبدائع حكمته في خلق السموات والأرض . . .

٦- ذِكرُ ما بدأ اللَّه عز وجل من الآيات الواضحة الدالة على وحدانيته.

٧ - ذِكرُ الآيات المتفقة المنتظمة الدالة على توحيد اللَّه عز وجل في صفة خلق السموات التي ذكرها في كتابه وبيَّنها على لسان رسوله ﷺ تنبيهًا لخلقه(١).

ثم ذكر أبواباً أخرى.

ومن الأبواب التي عقدها وهي متعلقة بتوحيد الألوهية ما يلي:

١- ذِكرُ معرفة أسماء اللَّه عز وجل الحسنة التي تَسمَّى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر.

(١) انظر هذه الأبواب في كتابه «التوحيد» (١/ ٦١ - ١١٦).

٢- ذِكرُ معرفة اسم اللَّه الأكبر الذي تَسمَّى به وشرَّفه على الأذكار كلِّها.

وذكر تحت هذا الباب، ما يلي:

أ - قول النبي ﷺ: «أُمِرتُ أن أدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه».

ب - قول النبي ﷺ: «بُني الإسلامُ على شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه».

جـ - قول النبي ﷺ: «مَن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت».

د - قول النبي ﷺ لرجل: «قل ربي اللَّه، ثم استقم».

هـ - قول النبي ﷺ لرجل: «اللَّه يمنعني منك».

و - قول النبي ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف باللَّه عز وجل، ومن حلف بغير اللَّه فقد أشرك».

ز - قول النبي ﷺ: «اذكروا اللَّه على جميع الأمور، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الجمعة: ١٠]»(١).

وذكر أمورًا أخرى كثيرة متعلّقة بتوحيد الألوهيّة.

(١) انظر هذه الأبواب في كتابه «التوحيد» (٢/ ١٤- ٤٦).

ومن الأبواب التي عقدها وهي متعلّقة بتوحيد الأسماء والصفات ما يلي:

- ذِكرُ معرفة صفات اللَّه عز وجل التي وصف بها نفسه، وأنزل بها كتابه، وأخبر بها الرسول ﷺ على سبيل الوصف لربه عز وجل مبيِّناً ذلك لأمته.

وذكرَ أبواباً أخرى كثيرة في توحيد الأسماء والصفات(١)، وكان قبل هذا ذكر جملة كبيرة من أسماء اللَّه الحسنى(٢).

قال شيخنا الدكتور علي بن ناصر فقيهي في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن منده المتقدم: «ومؤلف هذا الكتاب عاش في القرن الرابع الهجري (٣١٠ - ٣٩٥هـ)، وقد اشتمل كتابه على أقسام التوحيد التي ورد ذكرها في كتاب اللَّه تعالى : توحيد الربوبية توحيد الألوهية توحيد الأسماء والصفات، فبدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلًا به على توحيد اللَّه في الألوهية، ثم ذكر عنواناً لتوحيد الأسماء ، ومنه دخل في توحيد الألوهية، وذلك من الفصل الثاني والأربعين إلى الفصل الخمسين، ثم عاد لتكميل أسماء اللَّه تعالى، ثم أتبعه بتوحيد الصفات حيث بحثه

(١) انظر هذه الأبواب في كتابه «التوحيد» (٣/ ٧) إلى نهاية الكتاب.

(٢) انظر: كتابه «التوحيد» (٢/ ٤٧- ٢٠٨)

مستقلًا عن أسماء اللَّه عز وجل، ثم عاد إلى توحيد الربوبية بالتصريح بذلك في آخر الكتاب، ولم يخرج في استدلاله على ذلك عن كتاب اللَّه ولا سنة رسوله ﷺ وأقوال السلف كما يجد ذلك القارئ في الكتاب»[(١)].

١٠- قال أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشيّ المالكيّ المتوفي سنة ٥٢٠هـ في مقدمة كتابه «سراج الملوك»[(٢)]: «وأشهد له بالربوبية والوحدانية، وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الأوفى».

فذكر الأقسام الثلاثة.

١١- قال أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد القرطبي المالكيّ المتوفى ٦٧١هـ: «فاللَّه اسم للموجود الحقِّ الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المتفرّد بالوجود الحقيقي لا إله إلَّا هو سبحانه»[(٣)].

وقال أيضاً: «أصل الشِّرك المحرَّم اعتقاد شريك للَّه تعالى

(١) انظر: مقدمة كتاب «التوحيد» لابن منده (١/ ٢٧-٢٨)، وانظر أيضاً ما ذكره شيخنا - حفظه الله - في وصف الكتاب ومباحثه (١/ ٢٣ - ٤٢).

(٢) (١/ ٧).

(٣) «تفسير القرطبي» (١/ ٧٢).

في الإلهية، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة اعتقاد شريك للَّه تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إنَّ موجوداً ما غير اللَّه تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلَهاً»(١).

فهذه جملة من النصوص عن أئمة من السَّلف وعلماء المسلمين رحمهم اللَّه في عصور مختلفة، مشتملة على أقسام التوحيد الثلاثة بغاية الجلاء والوضوح، دالّة على أنَّ أهل السّنة والجماعة متتابعون على مرِّ القرون على هذا التّقسيم، وهكذا من جاء بعد هؤلاء من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، والحافظ ابن كثير، والإمام الذهبي، والمقريزي، وابن أبي العزّ الحنفي، والسفّاريني، والصنعانيّ، والشوكانيّ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه وغيرهم كثير مما يصعب حصره ويطول استقصاؤه. فهؤلاء جميعاً ليس بينهم خلاف في تقرير هذه الأقسام، وذلك اتباعٌ منهم للكتاب والسنة، ولزومٌ لما جاء فيهما، فهم يتّبعون ولا يبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ومخالفوهم هم أهل البدع

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ١١٨).

والأهواء، المُشاقُّون للَّه ولرسوله، المتَّبعون غير سبيل المؤمنين.

ونسأل اللَّه أن يرزقنا التوحيد الخالص والإيمان الراسخ، وأن يوفقنا لاتِّباع هدي سيّد المرسلين وإمام الموحِّدين: نبيِّنا محمّد صلّى اللَّه عليه وسلَّم وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد للَّه ربِّ العالمين.

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

تم الصف والإخراج
بشركة دار الكرامة
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان
ت: ٢٤٧٢٠٧٠٧